١٣٧

المورد

مَجلة تُرَاثية فَصليةٌ مُحكّمة

تصدرها وزارة الثقافة ـ دار الشؤون الثقافية العامة

الجلد الخامس والثلاثون ـ العدد الاول ـ سنة ٢٠٠٨

المورد

مجلة تراثية فصلية محكّمة

تُصدرها وزارة الثقافة - دار الشؤون الثقافية العامة

المجلد الخامس والثلاثون

العدد الاول-٢٠٠٨م-١٤٢٩هـ

رئيس مجلس الادارة / نوفل ابو رغيف

الهيأة الاستشارية

أ.د. خديجة الحديثي
أ.د. جواد مطر الموسوي
أ.د. فليح كريم الركابي
أ.د. داود سلّوم
أ.د. مالك المطلبي
الأستاذ حسن عزيبي

رئيس التحرير
د. محمد حسين الأعرجي

هيأة التحرير
نائب رئيس التحرير
احمد عبد زيدان
سكرتير التحرير
محمود الظاهر

التصحيح اللغوي

نجلة محمد
امل عبد الله

الإشراف الفني والتصميم

جنان عدنان لطيف
ابتسام السيد

dar-iraqculture@yahoo.com
dar-iraqculture@hotmail.com

الأسعار

العراق: ٥٠٠ دينار، الأردن: ديناران، الإمارات: ٢٠ درهماً. اليمن: ٣٠ ريالاً، مصر: ٣ جنيهات، ليبيا: ٣ دنانير، الجزائر: ٦٠ دينارا، تونس: ديناران. المغرب: ٢٠ رهما.

عنوان المراسلة

دار الشؤون الثقافية العامة
- الأعظمية -
ص. ب: ٤٠٣٢ بغداد
جمهورية العراق
هاتف: ٤٤٣٦٠٤٤
فاكس: ٤٤٨٧٦٠

المشاركة السنوية

٥٥ دولارا في الأقطار العربية.
في دول العالم الاخرى

المحتوى

الافتتاحية

القرآن الكريم متبوع لاتابع ..... رئيس التحرير ٣ــ٤

بحوث ودراسات

فلسفة الحضارة عند ابن خلدون..... أ.د. قيس هادي احمد

٥ــ١٠

دراسة في المنطق الاسلامي الاصيل..... د.سعد خميس علي

١١ــ٢٣

اعياد بغداد في ذاكرة شعرائها منذ التاسيس حتى نهاية العصر

العبا سي الاول.....د. حسام داود خضر الأربلي

٢٤ــ٥٩

المفارقة في شعر المتنبي .....أ.د. عبد الهادي خضير

عرض ونقد

نظرات نقدية على تحقيق كتاب تهذيب إصلاح المنطق

للتبريزي.....احمد عبد زيدان

نصوص محققة

متشابه القران لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي

القسم الثاني ..... دراسة وتحقيق د. محمد حسين آل ياسين

١٢٧ــ١٤٧

خمس صفحات خطية في النباتات

اخبار التراث العربي

اخبار التراث العربي ..... اعداد حسن عريبي الخالدي

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فلسفة الحضارة عند ابن خلدون

ا.د. قيس هادي احمد
مركز احياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

مقدمة:

شغلت المسألة الحضارية أذهان الفلاسفة والمفكرين منذ أقدم العصور، ومازالت تحتل مكانة متميزة في الدراسات الحديثة والمعاصرة. وقد كان الفلاسفة المسلمون يتناولون هذه المسألة في فلسفاتهم، بصورة عامة، حيث انصب اهتمامهم على الجوانب الأخلاقية والسياسية والادارية، كما انصب أيضاً على الجوانب التربوية والاجتماعية والاقتصادية، حريصين على الالتزام بالتعاليم الدينية، فمن محددات الزواج ــ مثلاً ــ المقدرة على الإعالة، ومن محددات تعدد الزوجات، العدالة بالمثل، ومن محددات الطلاق النفقة...الخ، فالقاعدة العامة في الفكر الاسلامي ربط العامل الحضاري بالعامل الاقتصادي، الى جانب العامل الأخلاقي.

ومن الكتابات التي تناولت المسألة الحضارية بالنصيب الأوفر من الاهتمام، كتابات ابن خلدون (١٣٣٢ ــ ١٤٠٦م) (٧٣٢ ــ ٨٠٨هـ)، حيث درس في كتابه المشهور (المقدمة) الحضارة الإنسانية من جميع جوانبها، باسلوب يقترب الى حد كبير من اسلوب الدراسات العلمية الحديثة في هذا الموضوع. فقد تناول ابن خلدون في مقدمته نمو السكان ونظرية التغيرات الحضارية الدورية، وعلاقتها بالظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية... الى جانب الاهتمام بتصنيف السكان وتوزيعهم الجغرافي والعوامل الطبيعية المؤثرة في البشر في ذلك....الخ من المباحث المتخصصة في الدراسات الحضارية الحديثة. بحيث يمكن عد ابن خلدون أول من وضع بحثاً منظماً في فلسفة الحضارة، حيث قام بدراسة علمية تجريبية في الجغرافية الاجتماعية بالإضافة الى دراسته العلمية المنظمة لعلم الاجتماع والتاريخ. واذا كانت دراسة مظاهر الاستقرار والاستيطان أو ما يسمى بـ ((علم العمران) احدى ابرز الدراسات الحضارية، فإن ابن خلدون، كان أول من اطلق هذا الاسم (العمران) وأفرد فيه فصولاً مستقلة، بشكل لم يسبقه اليه أحد.

وجدير بالإشارة الى أن الظواهر الحضارية من بشرية وطبيعية لم تدرس عند إبن خلدون لمجرد وصفها أو الدعوة اليها، كما كان شأن الذين سبقوه في هذا المجال، بل قام بتحليلها، بحيث يصار الى الكشف عن طبيعتها، والأسس التي تقوم عليها. والقوانين التي تخضع لها.[1]

واذا كانت الدراسات الحضارية في عصرنا الراهن تنصب على عدد ومواقع وتوزيع البشر ومعدل زيادتهم وتركيبتهم، والتغيرات التي تطرأ على هذه الظواهر، فإن ابن خلدون قد سبق الى ذلك حينما تولى في مقدمته دراسة وشرح معظم تلك المتغيرات.

الحضارة الإنسانية على اسس علمية

بينما كان فلاسفة اليونان والمسلمين يحاولون تثبيت شرعية النظر العقلي في الماهيات والمبادئ الأولى، معتمدين على المنطق والقياس، وقف ابن خلدون وغير اتجاه الفكر وحدد للبحث والتأمل

موضوعاً جديداً هو الكائن الإنساني الموجود في سياق التطور الاجتماعي التاريخي.

إنه لا يتحدث عن الإنسان فرداً أو جماعة كما لو كان مقطوعاً عن ظروفه المادية والمعاشية، بل هو إنسان مرتبط بالأرض وبالعادات التي يقدمها له مجتمعه ويقيده بها، ويضبط تصرفاته بقوانينها، أي إن انسان ابن خلدون. ليس ذلك الذي ابتعد به المثل الأعلى الفلسفي عن حقيقته وواقعه، حتى جعله إنساناً متعارضاً مع الكون، فالإنسان الخلدوني جزء من الكون، فإذا أردنا أن نغيره فيجب أن نغير محيطه أولاً. أما إهمال ظروفه والاهتمام به بعيداً عنها، فهو عبث لا طائل من ورائه.[٢] فالإنسان تؤثر فيه الطبيعة بمقدار ماتؤثر في غيره من الكائنات، ولأهمية تأثير المحيط في حياة الإنسان ــ عند ابن خلدون ــ يرى أن الفكر اذا ترك لإمكانياته الخاصة اصبح هزيلاً، مهما توهم بأنه غني في ذاته، لأن ثروته الحقيقية لا تكمن في العقل وحده، بل في المحيط الذي يعيش فيه وكيفية التوافق والتفاعل معه.

أي إن عالم الإنسان ومشاعره ونظرته الى الحياة منبثقة من الظروف الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تحيط به، وإن عليه السيطرة على كل تلك الظروف وتسخيرها في خدمته.

وقد أشاد ابن خلدون بمهاجمة المفكرين المسلمين للمنطق الأرسطي والمنهج القياسي، ولو أنها كانت لأسباب دينية، إلا أنها ساعدت على التوصل الى البحث التجريبي الاستقرائي في غير العلوم الفلسفية والدينية، فأخذ على عاتقه الالتزام بهذه المناهج العلمية في دراسته للحضارة الإنسانية.[٣]

وفيما يأتي دراسة علمية ضافية قام بها ابن خلدون للعوامل التي تتحكم في زيادة عدد سكان المدن ومواقع سكناهم والخصائص البايولوجية والحضارية لهم. عالجها كلها في ضوء منهجه العلمي التجريبي الذي إتسمت به فلسفته للحضارة الإنسانية بشكل واضح:ــ

١. العوامل التي تكمن وراء زيادة السكان:

عالج ابن خلدون آراء المفكرين والكتاب الذين سبقوه في الدراسات المتعلقة بزيادة السكان وتغيراتهم العددية، ولم يكتف برد آرائهم دون التعليق عليها، وإقامة الحجة على بطلانها، بل إنه اكد أيضاً ضرورة التحقق من مدى صحتها، لذلك قال (فلا تثقن بما يلقى اليك من ذلك، وتأمل الأخبار واعرضها على القوانين الصحيحة يقع لك تمحيصها بأحسن وجه) لقد كانت لابن خلدون فكرة واضحة عن قوانين زيادة السكان قبل العالم الأوربي المشهور (مالثوس) بأربعة قرون. وضرب لهذه الفكرة مثلاً في مقدمته مما نقله عن المسعودي ومؤرخين آخرين.. من ان قلول بني إسرائيل ــ وكما أحصاهم نبي اليهود (موسى) في المدة التي قضوها في صحراء سيناء بعد خروجهم من مصر تائهين، كانوا ستمائة الف أو يزيدون ممن يطيقون حمل السلاح.

وقد رفض ابن خلدون الأخذ بهذا الرقم، لتعارضه مع قوانين زيادة السكان في المجتمع، فقد عد أن ما بين يعقوب وموسى انما هو اربعة آباء.. وتمثل نحو (٢٢٠) سنة، طبقاً لما نقله المسعودي. وقد دخل يعقوب مصر مع اولاده واحفاده وهم سبعون فرداً، وهنا شكك ابن خلدون في صحة تزايد هؤلاء السبعين الى الرقم الذي ذكره المسعودي في اربعة اجيال.

ولا ريب أن وجهة نظر ابن خلدون تتفق، الى حد كبير، مع قوانين زيادة السكان الحديثة. على اعتبار ان سبعين فرداً لا يمكن وصولهم خلال (٢٢٠) سنة الى ما يسمح بتكوين جيش تعداده ستمائة الف نسمة. فلو طبقنا ــ تجاوزاً ــ نظرية مالثوس في نمو السكان، والتي تقول بتضاعف عدد السكان كل ربع قرن (اذا لم يقف في وجه تزايدهم اي عائق خارجي، مثل الحروب والأوبئة)، فإن عدد بني اسرائيل يصل في الحقبة المذكورة الى (٣٥٨٤٠) نسمة، وهذا غير مسلم به، لأنه في آخر أيامهم بمصر، كانوا يسامون سوء العذاب، يذبح أبناؤهم وتستحيا نساؤهم، فأين هذا مما ذكر المسعودي في ان افراد جيشهم وجنده كانوا اكثر من ستمائة الف.

ويربط ابن خلدون بين سياسة الدولة وزيادة السكان، فكلما كانت سياسة الدولة سليمة، زادت آمال الرعايا ونشطوا في

العمران. فيكثر النسل، وكلما كانت الدولة فاسدة آيلة للسقوط زادت الحروب والمنازعات فيقل النسل ويقل عدد السكان. ويرى ابن خلدون في سقوط الدولة نتيجة الحروب أو الفساد عاملاً يساعد على اعادة التوازن بين عدد السكان والموارد المادية والغذائية التي لا تكفي أصلاً الا عدداً محدوداً منهم، فحين ينتشر القتل وتكثر المجاعات، فان هذا يؤدي الى تقليل عدد السكان، بحيث يتناسب مع الموارد المادية والغذائية التي لا تكفي عدداً اكبر منهم.

وكأننا هنا نستمع الى مالثوس وهو يتحدث عن نظرياته في تبرير نشوب الحروب والمنازعات، وانتشار الأمراض والأوبئة، بأنها ظواهر طبيعية وضرورية، تأتي لتقليل عدد السكان، بحيث يتناسب هذا العدد مع كمية الموارد الغذائية الموجودة في الطبيعة والتي هي محدودة لا تكفي الا عددا محدودا منهم، ولولا هذه الحروب والمنازعات والأمراض والأوبئة، لظهر الخوف من مجاعة عامة يعانيها كل افراد المجتمع.

وفي مجال التقليل من عدد الوفيات أفرد ابن خلدون فصلاً في صناعة الطب والأمراض واسباب الوفاة وعلاقتها بالغذاء وأنواعه.. كما بين قدرة هذه الأمراض على الانتشار بين أهل الريف والحضر.. وأوضح انها اكثر انتشاراً بين سكان المدن مما عند سكان الريف والبدو.

إن تغير عدد السكان يتأثر أيضاً ــ عند ابن خلدون ــ بما يعتقده الناس بخصوص المستقبل من أحداث.. والتوقعات المتفائلة تؤدي الى زيادة الرغبة في الإنجاب، ومن ثم تؤدي الى زيادة عوامل التكاثر السكاني، بينما التوقعات المتشائمة تتسبب في الركود والانكماش السكاني.[4]

ويرى ابن خلدون أن هناك تغيراً طبيعياً دورياً في معدل الزيادة أوالنقصان في عدد السكان، فعندما تكون الدولة قوية تساعد الظروف الاقتصادية الطيبة والاستقرار السياسي على سيادة العمل المثمر فيرتفع الدخل وتتحقق الرفاهية المادية، فيزداد السكان نتيجة تشجيع الزواج والحد من الوفيات. ثم ترتفع الضرائب في بداية سقوط الدولة وتظهر تغيرات من شأنها قيام الفساد السياسي والانكماش الاقتصادي، مما يؤدي الى عدم إقبال الناس على الزراعة، فتظهر المجاعات وتكثر الوفيات، وهذا يقود الى التقليل من عدد السكان الى الحد الأدنى. ثم تبدأ بعد عدة أجيال دورة جديدة يتم فيها من خلال قيام دولة جديدة وتحقق استقرار سياسي جديد الى زيادة جديدة في عدد السكان، وهكذا وهنا يظهر تقارب كبير بين ما ذهب اليه ابن خلدون، وما آلت إليه نظريات التغيرات السكانية الحديثة، ومن بينها نظرية (آدم سمث ١٧٢٣ ــ ١٧٩٠م) التي تقوم على اساس العرض والطلب: وترى النظرية في ان توفر فرص العمل يؤدي الى ارتفاع الأجور ثم الى زيادة الرغبة في الزواج والإنجاب فزيادة السكان.. وبالمقابل فإن إنخفاض فرص العمل يؤدي الى انخفاض في الأجور وفي الرغبة عن الزواج وانخفاض عدد السكان. كما ان نظرية (ريكاردو) كانت متأثرة أيضاً بنظرية إبن خلدون، حيث رأى أن انخفاض المعروض من العمال يؤدي الى ارتفاع الأجور والى التبكير في الزواج والى كثرة السكان، في حين أن زيادة العرض في الأيدي العاملة يؤدي الى انخفاض الأجور، الأمر الذي يتسبب في قلة الإقبال على الزواج وبالتالي انخفاض عدد السكان.

٢ـ العوامل التي تكمن وراء التوزيع الجغرافي للسكان:

تناول ابن خلدون السكان من حيث توزيعهم الجغرافي، وبحث في مواطن سكناهم ومراكز انتشارهم. كما اهتم بتحليل العوامل ذات العلاقة بنمط الانتشار والتوزيع... الى جانب دراسته للأسس التي تنظم الهجرة، سواء تلك التي تتمثل في النزوح الريفي نحو المدن او من المدن الى الريف.. بما لها من علاقة وتأثير في التوزيع الجغرافي للسكان.. وفي نظم نشوء مراكز الاستيطان والتجمع، كالمدن والقرى والمساكن وطرق النقل والمواصلات.

وقد ركز ابن خلدون في دراسته لهذه المواضيع على تأثير البيئة الطبيعية في توزيع السكان، ولا ريب فإن تأثر الإنسان بظروف البيئة الطبيعية لا سيما مراكز استيطانه وصفاته واعماله، موضوع قديم،

شغل أذهان المفكرين الأغريق والرومان والمسلمين والأوربيين في العصر الحديث.. ويمكن ان نطالع جانباً من هذه الاهتمامات في مقدمة ابن خلدون، لكونه أفضل من كتب من العرب المسلمين، بل تفوق على كثير من كتاب عصر النهضة الأوربية في هذا المجال. فلأول مرة يربط ابن خلدون بين حوادث التاريخ والجغرافية وبين العوامل التي تحدد توزيع السكان وانتشارهم واوصافهم والوانهم.

ويعد ابن خلدون من المؤمنين بالحتمية البيئية عامة، والحتمية المناخية خاصة... لذلك فهو يعزو عدم وجود الحضارة في بعض مواقع الأرض الى العامل المناخي، إما بسبب الحر الشديد أو البرد الشديد. ولهذا قامت الحضارات في وسط الأرض، كما يقول ابن خلدون، لإفراط الحر في الجنوب والبرد في الشمال.

وكتب ابن خلدون فصلاً في أسباب قلة سكان مدن أفريقيا والمغرب، وذلك لكون الجزء الأكبر من سكانها من البدو، ذوي العصبية وهؤلاء يؤثرون العيش في الخيام والإقامة عند قمم الجبال ليحتفظوا باستقلالهم، فيما كانت المدن في الشرق من بلاد الأندلس وفي العراق ومصر وامثالها ذات عدد كبير من السكان.

وبصدد أبرز العوامل الأخرى ذات التأثير في نمط توزيع وانتشار السكان والمستوطنات السكنية... لاحظ ابن خلدون أن العامل الأمين أحد أهم تلك العوامل في تكتل السكان وتجمعهم في قبائل أو مدن.. كي يستطيعوا الدفاع عن انفسهم ضد العدوان. ومع ذلك فإن البدو لا يستطيعون التجمع في مكان واحد.. اذ لاتتاح لهم إلاّ مراع هزيلة. وتحيا هذه الجماعات الصغيرة في العراء، فلا أسوار ولا تحصينات تحميهم، كما هو الحال في المدن. ومن اهم الصفات التي ينميها هذا الأسلوب في الحياة... هو التضامن الوثيق بين أعضاء الجماعة الواحدة... فتراهم دائماً على أهبة الاستعداد لكي يساند بعضهم بعضا.

٣. العوامل التي تكمن وراء الخصائص البايولوجية والحضارية للسكان.

أفرد ابن خلدون فصولاً مستقلة عن تاثير البيئة الطبيعية في التركيبة البايولوجية والحضارية للسكان، فهناك تجمع سكاني بدوي يعيش في البراري والجبال وأطراف المدن، وهناك تجمع حضري يعيش في الأمصار والقرى والمدن.

وفي دراسته للتطور التاريخي للاستيطان، ذكر بان البدو أقدم من الحضر وسابقون عليهم.. والبادية أصل العمران والأمصار امتداد لها، وقد شدد ابن خلدون على التباين التدريجي بين الحياة في البيئة الحضارية والبيئة البدوية، بهدف الكشف عن صور الاتصال والانفصال، والتحولات التي تمر بها المجتمعات لكي تنتقل من خشونة البداوة الى رقة الحضارة.

والمدينة تنشأ من اتساع المصر، الذي هو عند ابن خلدون تجمع سكاني وسط بين المجتمع البدوي والحضري، حيث يتكاثر السكان فيه بالتدريج، ليصبح ريفاً او مدينة، هذا التكاثر الذي هو موجود داخل كل تجمع سكاني، يكون السبب في الانتقال من نوع الى نوع ومن اقليم الى آخر.(*)

ويرى ابن خلدون أن الموارد الطبيعية والمناخ يحددان الى درجة كبيرة اسلوب حياة التجمعات السكانية وكشف عن العلاقة بين النظام الغذائي والمناخ، وبين صفات السكان وخصائصهم، فالعرب الذين يطوفون بالصحراء ويقتصرون ــ غالباً ــ في طعامهم على اللبن، فإن الوانهم أصفى، وأبدانهم أقوى، وأشكالهم أتم وأحسن، واخلاقهم تبعد عن الانحراف وأذهانهم أثقب في المعارف والإدراك. وقال ايضاً (ان سكان الأقاليم الخصبة يتصفون ــ غالباً ــ بالبلادة في أذهانهم والخشونة في أجسامهم... فيما يكون أهل البادية، والذين يعانون الجوع في بلدانهم أحسن ديناً واكثر قدرة على مواجهة الحياة واطول عمراً.

وقد رد إبن خلدون على أولئك الذين يدعون بأن السود هم ولد (حام بن نوح)، اختصوا بلون السواد لدعوة نوح على أبيهم ظهر أثرها في لونه ــ وهذه كما يرى ابن خلدون غفلة عن طبيعة تأثير الحر والبرد في تحديد لون التجمعات السكانية، فهو يعلل ظاهرة السواد بأن الشمس تعلو وتستمر طويلاً فوق رؤوس بعض السكان

في مناطق محددة من المعمورة، فيكثر الضوء ويزداد الحر، فتسود جلود هؤلاء السكان، ويقابل ذلك في الشمال، حيث لا ترتفع الشمس كثيراً ولا تستمر طويلاً، فيقل الضوء ويزداد البرد، فتبيض جلود السكان. ويتبع ذلك ما يقتضيه البرد المفرط من زرقة العيون وبرش الجلود وصهوبة الشعور.

المجتمع الحضاري الفاضل على اسس علمية:

ينكر ابن خلدون النزعة الفردية والأنانية، لأن مثل هذه النزعة لا تنتج حضارة ولا مدنية ولا عمراناً، وعليه يرى أن الإنسان لابد ان يكون اجتماعياً وحضارياً، ولكي يبرهن على صحة رأيه يورد دليلين:

الأول: ان الانسان مضطر الى التعاون مع بني جنسه للحصول على الغذاء الذي يحتاج اليه. وفي ذلك يقول (إن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من الغذاء غير موفية له بمادة حياته منه، فلابد من اجتماعه مع الكثير من ابناء جنسه ليحصل القوت له ولهم).

الثاني: ان الانسان مضطر الى الاستعانة بأبناء جنسه لدفع المخاطر عنه لذا يقول (فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته واحداً من الحيوانات العجم ولا سيما المفترسة، فهو عاجز عن مدافعتها وحده، فلا بد من أجل ذلك من التعاون مع ابناء جنسه).[٦]

إن المجتمع الأنساني اذا نشأ وتم عمران العالم به، فلابد من رادع يدفع أفراد المجتمع عن البعض الآخر (لما في طباعهم من الظلم والعدوان) فيكون ذلك الرادع حاجة تفرضها طبيعة الإنسان نفسه كونه مجبولاً على الخير والشر معاً وعلى التعاون والعدوان، من ثمة فإن بقاء الإنسان يتطلب وجود سلطة تحفظ للمجتمع تماسكه وتعمل على تقوية روح التعاون بين أفراده، وكبح عدوان بعضهم على بعض، هذا هو الشرط الحضاري لحياة الانسان الاجتماعية، فلا بد من قيام المؤسسات والقوانين والحاكم والدولة.

السياسة على اسس علمية:

في المقدمة يتحدث ابن خلدون في فصل خاص عن الحضارة الإنسانية، مؤكداً ضرورة وجود سياسة ينتظم بها أمرها، الا انه كعادته وبكل علمية لا يبحث فيما يجب ان تكون عليه السياسة أو يجب ان يكون عليه الحكم، بل يبحث ماهو كائن وحادث بالفعل، وبعبارة اخرى فإن ابن خلدون ينطلق في فلسفته السياسية مما يطبق فعلاً وما يمكن تطبيقه من سياسات وأنماط للحكم، وهذه غير الفلسفة السياسية المثالية التي معناها عند الفلاسفة القدماء ما يجب ان يكون عليه أفراد المجتمع حكاماً ومحكومين حتى يسموا بأنفسهم وبالمجتمع الذي يريدونه داخل مدينة فاضلة.

ويضيف ابن خلدون قائلاً (وهذه المدينة الفاضلة ــ حتى عندهم ــ نادرة أو بعيدة المنال، فيتكلمون عليها على سبيل الفرض والتقدير) حلا نظرياً او تصورياً لمشكلات إلانسان الاجتماعية والأخلاقية والسياسية والعقائدية. ويرى ان السبب في ذلك انهم متعودون في سائر نظرياتهم على تصورات مثالية بعيدة عن الواقع وما يجري من تغيرات اجتماعية وحضارية، ومن هنا نرى ان ابن خلدون ابتعد عن الفلسفة السياسية بمفهومها التقليدي، ودرس الواقع السياسي، كما هو، لاكما يجب ان يكون. لذلك لا أثر في كلامه للأحكام المسبقة والمثل العليا المجردة واحلام الفلاسفة.[٧]

لقد استقرأ ابن خلدون الواقع السياسي، فلاحظ أسباب فشل سياسة الذين عجزوا عن دفع عمليات التحضر الى الأمام، كما لاحظ بالمقابل السياسة المقابلة التي على اساسها قامت الحضارات وتقدمت اشواطاً الى الأمام. وهي السياسات التي وضع أصحابها تحت تصرف الإنسان ما هو معلوم لكي ينطلق منه نحو اكتشاف ماهو مجهول، أي انطلاق الفكر من الواقع التجريبي الملموس في سعيه نحو الأفضل، وهذا هو منهج الفلسفة العلمية الواقعية الصحيحة، وبهذا ابتعد ابن خلدون تماماً عن التمنيات العقيمة في اقامة النعيم على الأرض والتي هي مجرد اضغاث أحلام مبنية على أسس واهية من الأوهام والخيال.

الهوامش

١) ناصيف نصار: الفكر الواقعي عند ابن خلدون: ص٤ ــ ٨.

٢) عبد الرزاق المكي: الفكر الفلسفي عند ابن خلدون: ص ٨ ــ ١٢.

٣) الدكتور توفيق الطويل: اسس الفلسفة ط٥: ص ١٣٩ ــ ١٤١.

٤) الدكتور خليل اسماعيل: الاتجاهات السكانية في مقدمة ابــن خلدون: ص ١٧١ ــ ١٧٩.

٥) ابن خلدون: المقدمة: ص ٧٠ ــ ٨٨، ٣٥٥ ــ ٣٦٥.

٦) ابن خلدون: المقدمة ص ٣٠ ــ ٤٠، ٢٥١ ــ ٢٧٧.

٧) محمد عابد الجابري: فكر ابن خلدون: العصبية والدولة: ص ٥٠ ــ ٥٨.

المصادر

١ــ ابن خلدون: المقدمة/ج١/ دار العودة: بيروت ١٩٨١.

٢ــ الجابري (محمد عابد): فكر ابن خلدون العصبية والدولة: دار الشــؤون الثقافية العامة، بغداد، ب . ت.

٣ــ الطويل (د.توفيق): اسس الفلسفة/ ط٥/ دار النهضة العربية، القــاهرة ١٩٦٧.

٤ــ المكي (عبد الرزاق): الفكر الفلسفي عند ابــن خلدون / الأســكندرية ١٩٧٠.

٥ــ إسماعيل (د. خليل): الاتجاهات السكانية في مقــدمة ابــن خلدون: مجلة دراسات للأجيال: العدد الثالث ــ السنة السادسة ــ ايلول ١٩٨٦.

٦ــ نصار (ناصيف) الفكر الواقــعي عند إبــــن خلدون: الأنجلو المصرية.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى